

# **مادة (نفح) ومشتقاتها في القرآن الكريم**

## **دراسة لغوية دلالية**

**The subject (nafgh) and its derivatives in the Holy  
Qur'an -a semantic linguistic study**

**م. د. نؤاس محمد علي عبد عون**  
**كلية الآداب - الجامعة العراقية**

**M. D. Nuas Mohammed Ali Abd Aoun Al-Khafaji**

**College of Arts -Iraqi University**

**nuasali518@gmail.com**



## الملخص

يتناول البحث مادة نفح والمستويات لها اللغوية والدلالية لصيغها التي جاءت في القرآن الكريم، وقد وردت عشرين مرة في ثمان عشرة آية، ابتدأت الدراسة بالمستوى المعجمي ثم الصRFي بصيغه المختلفة ومعه النحوى لتحديد وظيفة صيغ النفح في التراكيب وردت فيها، ومن ثم الدلالي لمعرفة دلالتها داخل سياق الآيات حيث تتنوع بين النفح بمعناه المادى اللغوي والنفح بمعنى الخلق والنفح في عالم الآخرة.

### Abstract:

The research deals with the subject (nafs) and its linguistic and semantic levels of its forms found in the Holy Qur'an ,The Qur'an mentioned it twenty times in eighteen Qur'anic verses. The study began with the lexical level of the word, then the morphological level, and with it the grammatical level, which studies the grammatical structures that contain vowel words and their grammatical function, Then the semantic to know its meaning in the context of the verses.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الخالص المنتجبين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

تشكل المادة اللغوية في القرآن الكريم على صيغ مختلفة لتؤدي دلالات الهيبة وتعبر عن مقاصد ربانية وهي تننظم في نصوص القرآن على وفق منهجه اللفظي بانسجام واتساق وعلى نحو معجز، ولما كان النفح يمثل بداية الحياة لكل المخلوقات الحية حين ينفح الله الروح فيها وكذلك بالنفح يعلن الإيذان بختامها وبعث الأموات من جديد لحسابهم أخترت مادة نفح موضوعا للبحث والدراسة اللغوية وقد ارتأيت أن تنقسم مباحث الدراسة على وفق تمهيد يتناول أهمية الكلمة في التعبير القرآني ، ثم ثلاثة مباحث تمثل المستويات اللغوية لمادة نفح وهي المعجمية والصرفية والنحوية وكذلك الدلالية السياقية التي تكون لـ(نفح) في سياق الآيات التي وردت فيها، فاستعمل الله لفظة في السياق له اثره في توجيهها لتدل على غير معناها اللغوي، ثم ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها النتائج التي انتهت إليها مسيرة البحث ، بقى أن اذكر اني قد جمعت في مبحث واحد بين المستوى الصافي والنحوي؛ وذلك لسببين الأول قلة تنوعات الصيغة الصافية لهذه المادة في النصوص القرآنية بما يبني مبحثا صرفيا مستقلأ؛ فليس فيها صيغ للجمع ولا للمشتقات .. إلخ وإنما كل ما ورد منها صيغ فعلية ماعدا صيغة اسمية واحدة هي مصدر المرة، والسبب الثاني : الأثر الكبير للتركيب النحوي وقراءته المتعددة في تحديد الوظيفة التي تؤديها الصيغة الصافية داخل ذلك التركيب ما يجعل عملهما متباينا .

## التمهيد

### أهمية الكلمة ووظيفتها في التعبير القرآني

الكلمة في القرآن هي قول الله المعجز فقد أودع عز وجل في كل حرف من كتابه العزيز سراً من أسرار اعجازه فجعله كتاباً لا تنتهي عجائبه ولا تنتهي غرائبه ولا يخلق من كثرة الرد، وكان لا اختيار كل كلمة فيه من بين مفردات اللغة الأخرى بصيغتها وبنائها وبلاوغتها والسياق أو الموضع الذي وضعت فيه اعجازاً وكاماً وحكمة، قال تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ (١١٥ الأنعام) .

« لا شك أن كل مفردة وضعت وضعاً فيها مقصوداً في مكانها المناسب ، وإن الحذف مقصود ، كما أن الذكر مقصود وإن الإبدال مقصود ، كما أن الأصل مقصود ، وكل تغيير في المفردة أو إقرار على الأصل مقصود له غرضه »<sup>(١)</sup> ، ومن أغراضه : ﴿أَنْ يُحَقَّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٧ الأنفال) .

وتصرف الكلمة في القرآن الكريم إلى وجوه عدة من الدلالات والمعاني البلاغية ، وذلك بحسب الموقع الذي يكون لها في سياق النصوص القرآنية ، بالإضافة إلى تعدد اشتراق صياغاتها الصرفية ، وتنوع موقعها الاعرائية في التراكيب النحوية ، محكومة بالحكمة الإلهية ، يقول الجاحظ عن سر الكلمة وخصوصيتها الدلالية في كتاب الله : « قد يدل بالكلمة الواحدة والكلمات المختصرة على معانٍ متعددة يطول شرحها ، وإذا أراد المتكلّم العادي التعبير عن المعاني الذي أرادها القرآن لم يصل إلى بغيته إلا بلفظٍ أطول أو أقل دلالة »<sup>(٢)</sup> .

من هنا تأتي أهمية دراسة الكلمة في القرآن الكريم بمستوياتها اللغوية جميماً وخصوصيتها ، كونها مشحونة بالدلالات وهي لا تمارس دورها الدلالي في موضعها فقط ، ولا بصيغتها الوضعية فحسب بل ان كل كلمة فيه مرتبطة لغوياً ودلائياً بالنص القرآني كله ، وهي خاضعة لمنهجه лفظي الخاص ، ومتأثرة بدلالات نص الكتاب الأوسع ، فالقرآن الكريم بنصه الكلي يمثل السياق الأكبر الذي يحكم كلماته وجمله وتراكيبه ، وعليه تعرض مفرداته كلها ، وإليه يحتكم الباحث أو المتدارس إذا ما حاول الوقوف على معانيها والمقصود منها .

(١) بlague الكلمة في التعبير القرآني ، فاضل صالح السامرائي : ٤ .

(٢) البيان والتبيين ، الجاحظ : ١ / ٢ .

وقد ذكر القرآن الكريم، كل أقسام الكلمة وأشكالها وصيغها وحالاتها، فذكرها بصيغها المفردة والمثنى والجمع، وبأقسامها اسم و فعل وحرف، وحالات الاسم بأنواعها، والفعل بأنواعه، وذكر الكلمة حسب حالات إعرابها منصوبة ومرفوعة و مجرورة، إلى ما هناك من تقييمات وتفاصيل وصيغ آخر<sup>(١)</sup>، ثم إن الله تعالى قد طالب عباده بالتدبر في القرآن الكريم وكلماته ففي ذلك نجاتهم وصلاح حالهم وثبات إيمانهم ووضوح بصيرتهم بالحق وعمل المعروف وبناء الحياة واعمار الأرض وضمان الآخرة؛ ولذا فإن دراسة الفاظ القرآن الكريم بمستوياتها جميعاً ليس عملاً علمياً عظيماً فقط بل ضرورة عبادية وايمانية أيضاً، وما بالك إذا كان اللفظ المدروس مما ورد في سياقات خلق الإنسان ووصف يوم القيمة وأحواله وأحوال العباد فيه على نحو موضوع بحثنا لمادة (نفع) فهي تزداد أهمية للعباد كونها تتعلق باخترتهم وتدفعهم لمزيد من الخشوع والاستعداد والتهيؤ لهول ذلك اليوم؛ وعليه لابد من دراسة المستويات اللغوية والدلالية لتلك الكلمة ليتبين المعنى، ولعله يتضح المقصود الإلهي وتعرف الرسالة التي حملها الله تعالى في النصوص التي وردت فيها.

وردت مادة نفع بصيغها المختلفة في القرآن الكريم عشرين مرة في ثمانية عشرة آية، تنوّعت الصيغ بين الأفعال الثلاث الماضي والمضارع والأمر وتنوعت ازمنتها ولكن بتفاوت بين زمن وأخر بحسب دلالة صيغتها وقرائن التركيب الذي ترد فيه فهي تحدد زمن الفعل، وكذلك تنوّعت الأفعال بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول لصيغتي الماضي والمضارع، أما بالنسبة لصيغتها الاسمية فلم ترد إلا مرة واحدة بصيغة مصدر المرة، فضلاً عن تنوع السياقات واختلاف التركيب النحوية التي جاءت فيها صيغ نفع؛ ولذا لابد من دراسة المستويات اللغوية لهذه المادة مبتدئين بالمستوى اللغوي المعجمي أولاً؛ إذ يقدم لنا هذا المستوى المادة الأساسية عند بناء الصيغة الصرفية وتشكيلها، وبها يعرف معنى هذه الصيغة في الأصل، وكذلك صيغ الأفعال التي جاءت عليها، ثم لابد من بيان الوظيفة النحوية التي يمكن أن تؤديها داخل التركيب، ورصد التحول الذي حصل في الدلالة الأساسية بفعل طبيعة سياق الآيات التي وردت فيها صيغ النفع المتعددة.

(١) ينظر: الكلمة القرآنية أعماقها، أبعادها، أدوارها ارتباطاتها، أشكالها، إعجازها ، خالد بكر: ٣٩٠.

## المبحث الأول

### المستوى اللغوي المعجمي لـ (نفح)

سيحاول الباحث في هذا المبحث تتبع معاني مادة (النون، الفاء، الخاء) في المعجمات العربية، إلا أنني لم أورد كل المعاجم العربية في البحث فيما ذكرته عن (نفح)؛ لكثريتها، ولكنني تتبع هذه المادة فيها، مما وُجد فيها من معانٍ، لم يذكرها غيرهم أوردها، وإن لم يكن اكتفي بهذه المعاجم التي اعتمدها في بحثي لدقتها في عرض المادة اللغوية، ولقدّمها في التصنيف.

#### المطلب الأول / معنى النفح في المعجمات اللغوية:

جاء في معجم العين للفراهيدى (ت ١٧٠ هـ) :<sup>(١)</sup> النَّفْخُ : معروف، تقول نَفَخْتُهُ فَانْتَفَخَ، والِّمِنْفَاخُ : ما ينفح به الإنسان في النار وغيرها، والِّنْفِيَخُ : الموكل بنفح النار.. والنَّفَاخُ نُفْخَةُ الورم من داء يأخذ حيث أخذ. والنُّفَخَةُ : انتفاخ البطن من طعام ونحوه، والِّمِنْفَاخُ كير الحداد. وشاب نُفْخُ، وشابة نُفْخُ، بغير الهاء، إذا ملأتهما نُفْخَةُ الشباب، وقوم مَنْفُوخُونَ أي: سمنوا في رخوة، والنُّفَاخَةُ : الحجاة، وهي فقاعة ترتفع فوق الماء

وقال ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) نفح: أصل صحيح يدل على انتفاخ وعلو. منه انتفاخ الشيء انتفاخا، ويقال: انتفاخ النهار: علا، ونفح الربيع: اعشابه، لأن الأرض تربو فيه وتنتفاخ. والمنفوخ: الرجل السمين،

وذكر الراغب (ت ٤٥٠ هـ): "النفح، نفح الريح في الشيء، قال: (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنُفْخَ فِي الصُّورِ ثُمَّ نُفْخَ فِيهِ أُخْرَى) ومنه نفح الروح في النشأة الأولى، قال(ونفختُ فيه من روحي) يقال انتفخ بطنه»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) عن نفح: )نُفْخَ فِي الصُّورِ (وكم بين النَّفَختَين. ونَفَخَ في النار. ونفح النَّارَ بالِّمِنْفَاخِ وهو الكَبِيرُ. ونصبوا على النَّارِ الْمَنَافِيَخَ . ونَفَخْتُ فِي الرِّقَ فَانْتَفَخَ، ونَفَخْتُ فِيهِ فَتَنَفَّخَ، وهو يجد نَفْخَةً فِي بَطْنِهِ وَنِفْخَةً وَنَفْخَةً : انتفاخاً من طعام وغيره، ومن المجاز:

(١) كتاب العين ، الفراهيدى : ٢٧٧/٤

(٢) (٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني : ١/٥٠٠

انتفخ النهار: علا. ونَفَخَ شِدْقَيْهُ : تكبر. وجاءت نَفْخَةُ الريّع: أَيَّام اعْشَابِه<sup>(١)</sup> وقال ابن منظور (ت ٧١١ هـ) في اللسان<sup>(٢)</sup> النَّفَخُ: معروف، نَفَخَ فيه فانتفَخَ، ابن سيده: نَفَخَ بفمه ينَفُخُ نَفْخًا إِذَا أَخْرَجَ مِنْهُ الريّعَ يَكُونُ ذَلِكُ فِي الْإِسْتِرَاحَةِ وَالْمُعَالَجَةِ وَنَحْوَهُمَا؛ وَنَفَخَ النَّارَ وَغَيْرَهَا يَنَفُخُهَا نَفْخًا وَنَفِيقًا<sup>(٣)</sup>، والنَّفِيقُ: المُوكَلُ بِنَفْخِ النَّارِ؛ وَنَفَخَ الْإِنْسَانُ فِي الْبَرَاعَ وَغَيْرِهِ. وَالنَّفْخَةُ: نَفْخَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَفِي التَّنْزِيلِ: إِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ. وَفِي التَّنْزِيلِ: فَأَنْفَخَ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِ اللَّهِ. ويقال: نَفَخَ الصُّورُ وَنَفَخَ فِيهِ.

يتبيّن مما تقدّم أن « المعنى المحوري »: اندفاع الهواء من الجوف المخلخل (أو فيه)<sup>(٤)</sup>، وأنّ الأصل الواحد المشترك في مادّة نفح: هو إِبْرَادُ رِيحٍ أو نظيره مادّيًّا أو معنوًّا في شيء، بالفم أو بغيره. ومن مصاديقه: نفح الهواء في النار بفم او بمنفاخ. ونفح في الزق للحدادين. وانتفاخ هواء وماء في النباتات الريبيعة. ونفح الهواء بالفم في الطعام للتبريد. وحصول انتفاخ في البطن. ونفح الروح من الله تعالى في الجسم نفخاً روحانياً<sup>(٥)</sup>.

### المطلب الثاني/ الفروق الدلالية بين معنى النفح والآلفاظ المقاربة له:

يتضح معنى (نفح) أكثر من خلال ابانته الفروق الدلالية بينها وبين ما قد يقاربها او يشابهها، نحو النفح، والنَّفَثَ، والهَبَّ، والبَزْقُ والنَّسْمُ، والتَّفَلُّ:

« فالنفح: إِخْرَاجُ هَوَاءً لطِيفًا مادّيًّا أو معنوًّا وَتَوْجِيهُهُ إِلَى شَيْءٍ، والنَّفَخُ: أَغْلَظُ مِنْهُ وَأَشَدُّ، فَانْخَاءُ مِنْ حُرُوفِ الْأَسْتِعْلَاءِ.

والنفت: فيه إخراج شيء قليل من الريق أيضاً، فانـ الشاء من حروف النفت وتلازم خروج شيء من المخرج حين التلقّط بها وفي التفل والبزق والبصق: يلاحظ النظر إلى ريق الفم، والهبوط: يلاحظ فيه التحرّك والجريان من حيث هو.<sup>(٦)</sup>

(١) أساس البلاغة ، الزمخشرى: ٢: ٤٦٣ .

(٢) لسان العرب ابن منظور مادة : نفح : ٣/ ٦٣ .

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم ، محمد حسن جبل: ٢٢٣٣ .

(٤) (٥) ينظر: التحقّيق في كلمات القرآن الكريم ، المحقق المفسر العلامة حسن المصطفوي : ١٨٧ / ١٢ .

(٥) المصدر نفسه: ١٢/ ١٨٨ .

## المبحث الثاني المستوى الصرفي والنحوى لمادة نفح في القرآن الكريم

المطلب الأول / العلاقة بين البناء الصرفي والوظيفة النحوية وأثرهما في المعنى  
الصرف عند علماء العربية : « هو أن تصرف الكلمة المفردة فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعان  
متغيرة»<sup>(١)</sup> وهو: «عِلْمٌ بِأَصْوَلٍ تُعْرَفُ بِهَا أَحْوَالُ أَبْنِيَةِ الْكَلِمِ الَّتِي لَيَسْتُ بِإِعْرَابٍ»<sup>(٢)</sup>.  
ويرى الزركشي ان «العلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة ، لأن التصريف نظر في ذات  
الكلمة ، والنحو نظر في عوارضها»<sup>(٣)</sup>.

اما مفهوم الصيغة الصرافية فهي «عبارة عن هيأة الكلمة أو القالب الذي تصاغ الأبنية الصرافية  
على قياسه ، وتنطوي هذه الهيأة على عنصرين أساسين هما: الأصول والحركات»<sup>(٤)</sup> ، فالأصول  
هي الحروف المكونة للكلمة ، والحركات هي التي تحدد صيغتها ومعناها<sup>(٥)</sup>.

فالصيغة « كل لفظ له معنى لغوی یفهم من مادة تركیبه، ومعنى صیغی وهو ما یفهم من هیأته،  
أی: حركاته وسكناته وترتيب حروفه؛ لأن الصيغة اسم من الموصوع الذي یدل على التصرف في  
الهيأة لا في المادة؛ فالمفهوم من حروف (ضرب) استعمال آلة التأديب في محل قابل له، ومن  
هيأته وقوع ذلك الفعل في زمن الماضي ، وتوحيد المسند إليه وتذکیره وغير ذلك»<sup>(٦)</sup> ، فيشترط  
في الصيغة اجتماع المعنيين معاً، أحدهما اللغوي وهو معنى الأصول الثلاثة من حيث أنها  
تلخص علاقات اشتقاقة بين طائفة من الكلمات والثاني الصيغي والثالث الاشتقاقي وهو ما ينسب إلى  
البناء الصرفي من معنى عام كالطلب والمطاوعة والاتخاذ والتدرج ... إلخ<sup>(٧)</sup>؛ ولذلك وبناء على  
هذين الركنين اللذين يشكلان ركيزتي الصيغة اقتصرت الصيغ على الأسماء والأفعال والمشتقفات

(١) كتاب المفتاح في الصرف ، عبد القاهر الجرجاني: ٢٦.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين الاسترابادي: ١/١.

(٣) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي: ٣٧٣/١.

(٤) القريئة في اللغة العربية ، كولبيزار كامل عزيز: ٨١.

(٥) ينظر: التحول الداخلي في الصيغة الصرافية ، مصطفى النحاس: ٤٢.

(٦) الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة ، عبد الحميد الهنداوي: ٩.

(٧) ينظر: البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان: ٣١/١.

واستبعدت منها الأدوات والظروف والضمائر؛ لافتقادها لهما.

ولابد من التدقير في الصيغ والتفرق بينها استناداً إلى المعنى، فلكل معنى صيغة خاصة تعبّر عنه وتحده وتميّزه عن غيره، فالدالة الاسم تختلف عن غيره من دلالة الصيغ كالمصدر واسمه أو الصفة، وكذلك دلالة الفعل التام تختلف عن الفعل الناقص كما يختلفان في الوظيفة، ومثله الفعل المتصرف لا يتفق مع الفعل الجامد، وكذلك الفرق بين المتعدي واللازم وهكذا البقية تختلف الصيغ باختلاف المعاني؛ لذا يؤكد علماء اللغة وعلوم القرآن، والمتصدرون للتفسير ضرورة الإلمام بعلم الصرف والتصريف؛ وبالتالي يعرف المفسر أبنية الكلمات وموازيتها وصيغها، فإذا هو وجد كلمة مبهمة استطاع تصريفها لمعرفة مادتها ومعناها، ومن جهل هذا العلم التصريف كان عرضة لأخطاء كبيرة في التفسير<sup>(١)</sup>.

والعلاقة بين النحو والصرف علاقة ترابط وتكامل واستدعاء حيث يعطي النحو للبناء الصرفي بأنماط صيغه المتعددة أهمية كبيرة في علاقات أبنية الكلم بعضها ببعض وفي عرض تحليلاته؛ فالصرف يشكل رافداً للدلالة النحوية التي تبحث في علاقة المفردات بعضها مع بعض في الجمل المختلفة<sup>(٢)</sup>، ذلك إن الصيغة الصرافية تقدم للتركيب خيارات متعددة فيختار ما يناسب المعنى الذي يقتضي اتصاله للمتلقى، وكذلك طبيعة الترابط والتضام بين الفاظه، كما توجه الصيغة إلى « تحديد كثير من الوظائف وال العلاقات، ذلك أن لكل من الفعل اللازم والمتعدي، والمبني للمعلوم والمبني للمجهول ، والناقص والتام ، والمصدر والمشتقات الازمة والعاملة ، أنماطاً لفظية تميز بعضها من بعض ، وتعيين المقصود الذي له مقتضياته وحاجاته»<sup>(٣)</sup>.

ومثلكما يمارس البناء الصرفي تأثيره في التركيب وفي علاقاته فإن التركيب هو أيضاً يؤثر في معنى الصيغة؛ لأن العلاقة بين النحو والصرف علاقة جدلية تقوم على الاستدعاء، وأن لكل بناء جهة أو عرى تربطه في أثناء النظم بغيره من مكونات التركيب من السوابق واللوائح وتحدد الرتبة، فالحالة الاعرابية بمجملها تشكّلها الرتبة والنسبة والصيغة ومعها الحدث وعلاقته بالزمن والتضام.

وقد تتغير الوظيفة النحوية للبناء الصرفي نفسه بفعل التركيب ونعني بالوظيفة النحوية للكلمة: « ما تؤديه الكلمة من دلالة نحوية في الجملة كالفاعلية والمفعولية والخبر والحال ... الخ»<sup>(٤)</sup>، ونعني

(١) ينظر: التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي: ١٦٧\_١٦٨.

(٢) ينظر: الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش إسماعيل: ٣٨.

(٣) التحليل النحووي عند ابن هشام، وأئل عبد الأمير: ٢٠٥، وينظر: التحليل النحووي أصوله وأدله، فخر الدين قباوة: ١٨٠.

(٤) التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات ، أحمد المتوكل: ٤٤.

الوظيفة النحوية برصد العلاقة الدلالية أو التركيبة القائمة بين مكونات الجملة والأدوار التي تؤديها فيما بينها . وهذه الوظيفة قد تتغير على نحو ما نجده في الصفة المشبهة التي قد تأتي مرة خبراً للمبتدأ وقد تعمل فعل الفعل مرة ثانية فتحتاج إلى مسند إليه او قد تقع هي نفسها مبتدأ، كذلك صيغ الأفعال فالفعل على المستوى النحوي يختلف عن مستوى الصرفي ، فصيغته الصرفية تؤدي معنى الحدث المقترب بزمن الا انه في النظم لا يكون الزمن وظيفة الفعل بمفرده فقط ، وإنما يتضح أو يتغير بالقرائن والسباق والواحد ، فالزمن الصرفي قد يختلف عن الزمن النحوي على نحو ما سنجد في الآيات في استعمال صيغة الماضي (نَفَخَ) للمستقبل مثلاً، فالزمن يحدده السياق النحوي بما يتضمنه من قرائن لفظية وحالية وبناء على موقع الفعل في السياق وما يحلف به من قرائن تتوقف دلالته على زمن ما ، من هنا ندرك أن الموضع النحوي للكلمة يوسع الدلالة الأصلية للكلمة، كما ان للموضع النحوي أثر مهم في تحديد المعنى الدقيق في النظم<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني/ المستويان الصرفي والنحوي لمادة نفح

### أولاً- الصيغة الفعلية

وردت مادة نفح في القراء الكريم في عشرين موضعاً توزعت على ثمانية عشرة آية، وما جاء منها بالصيغة الفعلية فهو، اثنتا عشرة صيغة للفعل الماضي، وست صيغ وردت بصيغة الفعل المضارع أما بصيغة فعل الأمر فقد وردت مرة واحدة فقط ، وجميع الأفعال لازمة غير متعددة، وقد اختلفت أزمنتها في تراكيب جمل الآيات وسياقاتها عن دلالتها الصرفية، كما أن الأغلب منها جاءت مجردة عن الضمائر وما جاء متصلة بالضمير فهو في خمس مواضع فقط ، وسنبحث الصيغ الفعلية على النحو الآتي.

#### أ- صيغة الفعل الماضي : ورد الفعل الماضي بثلاث صيغ :

١- الأولى، هي (نَفَخَ) ثلاثي على وزن (فَعَلَ) مبنياً للمعلوم ومجرداً من أحرف الزيادة ومن اتصاله بالضمير وقد ورد مرة واحدة فقط وهو مبني على الفتح ، جاء في قوله تعالى يصف خلق الإنسان : ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ إِنْسَانٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئَدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ السجدة﴾.

(١) ينظر: أثر الموضع النحوي على الوظيفة الدلالية (دراسة وصفية تحليلية لنصوص من دلائل الاعجاز)، نيكسون جونسون بونان: ٢٣٣، ٢٣٨.

إن دلالة الفعل الماضي على وقوع الحدث وتمامه قبل زمن التكلم هي الأصل<sup>(١)</sup> إلا أنه يأتي للدلالة على أن الحدث وقع في زمن ماض ولكنه لاحق لأحداث أخرى سبقته في الماضي، أو أن عملاً ما يتكون من مجموعة أفعال تختلف طبيعة حدث كل منها وصفاته، تحدث بالتعاقب والترتيب هو واحد منها على نحو الأفعال التي مرت في الآية آنفاً، التي تدل على مجمل عملية خلق الله لآدم عليه السلام .

دلالة الفعل المجرد (نفع) هنا وإن كانت دالة على زمن الماضي بصيغتها الصرفية إلا أنها في تركيب الآية دالة على انتهاء مرحلة من خلق الإنسان وبداية مرحلة جديدة في عملية الخلق، وهي النفع؛ وذلك بفعل القرينة (ثم) التي تفيد الترتيب، جاء في (شرح الرضي على الكافية): « وقد تجيء في الجمل خاصة لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها، وعدم مناسبته، كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا هَذِهِ الْأَرْضَ حَلْقًا آخَرَ﴾ (٤ المؤمنون)<sup>(٢)</sup>، وهذه المرحلة (النفع) هي أهمها؛ لأنها تشير إلى لحظة بدء الحياة وجعل الروح في آدم بعد أن كان جماداً أو شيئاً آخر؛ فقد سبقه في الآية فعل بداية تشكيل الإنسان من طين ثم بعدها جعل نسله في ماء مهين ثم سواه ونفع فيه الروح، وكل فعل مختلف في حاله وصفاته ومرحلة عما سبقه أو جاء بعده.

٢- أما الصيغة الثانية فهي صيغة الفعل الماضي المبني للمعلوم والمتصل بالضمير المسند إليه ( فعلت : نَفَخْتُ ) ، و( فعلنا : نَفَخْنَا ) وقد وردت في أربعة مواضع، كلها مسندة إلى ضمير الرفع المتحرك للمتكلم ولكن على نحوين: مرة مسندًا إلى تاء الفاعل للمتكلم المفرد في موضعين، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٢٩ الحجر) قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ص ٧٢، ومرة أخرى مسندًا إلى ضمير جماعة المتكلمين (نا) في موضعين أيضًا، في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٩١ الأنبياء) ، قوله تعالى: ﴿وَمَرِيمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (١٢ التحريم) ، والفعل في أربعها مبني على السكون لاتصاله بهذه الضمائر، وإسناد الفعل نفع إلى ضمير المتكلم المتصل به اتصالاً مباشراً وهو تاء الفاعل للمتكلم قد أفاد تعين المسؤول عن فعل النفع العظيم الذي يبعث الروح في آدم ، وهو الله الخالق عز وجل. فقد اسند الله تعالى هذا الفعل له مباشرة وأما اتصال الفعل بضمير جماعة المتكلمين (نا) واسناده له فقد جاء بالضمير المشترك

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، عبد الصبور شاهين: ٦١.

(٢) شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاسترابادي: ٢ / ٣٦٧، وينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي: ٣ / ٢٤٠.

ليدل على اشتراك طرف ثان أوكل الله اليه القيام بعملية النفح في مريم ولكن بإرادته عز وجل نفح الملك في فرجها وقيل نفح في جيبها إذ لا يتناسب ان ينفح الله فيه ولا بد من طرف ثان تنتزها لله واجلاً له.

جاء الفعل الماضي (*نَفَخْتُ*) في الآيتين في تركيب جملة الشرط بـ(إذا) والأصل في (إذا) «أن تكون للمقطوع بحصوله وللكثير الواقع»<sup>(١)</sup> وهي في الغالب تكون «ظرفاً للمستقبل مضمنة معنى الشرط وتختص بالدخول على الجملة الفعلية»<sup>(٢)</sup> على نحو ما نجد في الآيتين الكريمتين، وقد تخرج عن الاستقبال فتستعمل للماضي<sup>(٣)</sup> على نحو ما سنرى في موضع البحث في الآية التي وردت فيها مادة(نفح) بصيغة فعل الأمر.

أما فعل الشرط في تركيب الآيتين فهو الفعل *نَفَخْتُ* بصيغة الماضي، وفعل الشرط الماضي يفيد المستقبل<sup>(٤)</sup>، وهنا خرج الفعل *نَفَخْتُ* من دلالته الأصل على زمن الماضي إلى المستقبل بفعل قرينتين الأولى (إذا) التي تفيد المستقبل والثانية سياق تركيب الشرط نفسه، وهذا الأسلوب في التعبير بالماضي عن المستقبل سائد في العربية وله غايتها الدلالية فقد «ذهب النحاة إلى أن القصد من مجيء الشرط ماضيا وإن كان معناه الاستقبال هو إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع»<sup>(٥)</sup>، أضف إلى ذلك أن فعل الشرط بصيغة الماضي قد يفيد الكثرة، وهو يتعارض مع ما تقدم من إفاده (إذا) كثرة الواقع ، يقول الدكتور مصطفى جواد: «إن الفعل المعبر عنه بلفظ الشرط إذا كثر حدوثه استعمل الماضي وإذا قلّ حدوثه استعمل المضارع ، فالماضي أولى بالكثير لأنه كالحادث والمضارع أولى بالقليل لأنه لم يحدث»<sup>(٦)</sup>، ففعل الخلق ونفح الروح حادث وعلى نحو الكثرة في الكائنات الحية ، وفعل النفح الإلهي في الآيتين المقتربن بعملية خلق الإنسان والذي يعقب تسويته خلقه دل على حتمية وقوع النفح وبعث الروح فيه من الله سبحانه وتعالى وهو يحمل الدلالة على الكثرة أيضاً وهذا ما موجود وقائم في حياتنا ، فتنازل الإنسان وتكاثر ولاداته الجديدة بالأحياء من الخلق مستمر ما بقيت البشرية وهذه أية عظيمة من آيات الله عز وجل

(١) (معاني النحو : ٤ / ٧١ ، وينظر : الاتقان ، السيوطي: ١٤٩ / ١).

(٢) (معنى الليبي ، ابن هشام الأنباري: ٩٢-٩٣ / ١).

(٣) معاني النحو: ٢ / ١٧٨ .

(٤) ينظر : معاني النحو: ٣ / ٣١٤ .

(٥) معاني النحو : ٤ / ٥٦ ، وينظر الخصائص ، ابن جني : ٣ / ١٠٥ .

(٦) المباحث اللغوية في العراق ، مصطفى جواد : ٤٨ .

ولذا استوجب على الملائكة السجود في جواب الشرط الذي جاء بصيغة الطلب المقتن بالفاء التي تشير الى السببية<sup>(١)</sup> فعبرت عن سبب السجود في الآيتين بقوله تعالى : (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ). أما الفعل (نفحنا) فقد ورد في الآيتين كلتיהם في تركيب يشبه الشرط أيضا ولكن بالاسم الموصول (التي) حيث اقتربن جواب الشرط فيه بالفاء أيضا، فقد « يشبه الاسم الموصول بالشرط فتدخل في جوابه الفاء نحو(الذي يدخل الدار فله مكافأة) فإن دخول الفاء معناه أن المكافأة تترتب على دخول الدار، ترتب الجزاء على الشرط فيكون دخول الدار سببا للحصول على المكافأة.... فدخول الفاء يفيد التنصيص على السبب وحذفها لا يفيد التنصيص على شيء بل يتحمل السبب وغيره»<sup>(٢)</sup> ، قال ابن هشام : « كما تربط الفاء الجواب بشرطه كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط »<sup>(٣)</sup> ، وانما يحسن دخولها في الموصول لأن جعل الآخر جوابا للأول وجعل الأول به يجب الجزاء له<sup>(٤)</sup> ، نحو قوله تعالى : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِيْنَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوْنَاهُنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ﴾ ﴿النساء﴾ : ١٥ ، فالاستشهاد مترب على إثبات الفاحشة.

في الآيتين اللتين ورد فيهما الفعل (نفحنا) والكلام فيهما عن مريم - عليها السلام - عبر عنها بالموصول دلالة على أنها قد اشتهرت بمضمون الصلة كما هو شأن طريق المسؤولية غالبا ، وأيضا لما في الصلة من معنى تسفيه اليهود الذين تقولوا عنها إفكا وزورا، وقد أراد الله إكرامها بأن تكون مظهرا عظيما لقدرته في مخالفة السنة البشرية لحصول حمل أنثى من دون قربان ذكر، ليرى الناس مثالا من التكوين الأول أي: جزيئها على إحسان فرجها، بأن كون الله فيه نبياً بصفة خارقة للعادة فخلد بذلك ذكرها في الصالحات<sup>(٥)</sup>.

١- أما الصيغة الثالثة للفعل الماضي التي وردت عليها مادة نفح فهي صيغة الفعل الماضي الثلاثي المبني للمجهول ( فعل : نُفِخَ ) وقد وردت في سبعة مواضع في ست آيات، هي قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٠١ ﴿المؤمنون﴾ . ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ﴾ ٦٨ ﴿الزمر﴾ وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ١٣ ﴿الحاقة﴾

(١) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش : ٢/٩

(٢) معاني النحو : ١٢٧/٤

(٣) معنى الليبب : ١٦٥ / ١

(٤) ينظر: الكتاب ، سيبويه : ٤٥٣/١

(٥) ينظر: التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور: ١٧/١٣٨-١٣٩، ٢٨/٣٧٨ .

﴿وَتَرَكُنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمْوِجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعَنَاهُمْ جَمِيعًا﴾ (٩٩) **الكهف**  
 ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (٥١) **يس** ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ (٢٠) **ق**

و فعل النفح في الآيات كلها يعبر عن النفح في الصور لذا فالرغم من أنه جاء في جميعها بصيغة الماضي الا أن دلالته الزمنية في التركيب أريد بها الدلالة على حدث في زمن المستقبل بفضل أكثر من قرينة لغوية وحالية ، فمن اللغوية ورود الفعل (نفح) في تركيب الشرط بـ(إذا) مررتين في سوري المؤمنون والحاقة وقد تقدم الكلام عن أثر قرينتي تركيب الشرط وـ(إذا) في جعل دلالة الفعل الماضي تدل على المستقبل ، أما القرينة الحالية وهي الأقوى تأثيرا في نقل دلالة الماضي إلى المستقبل أن النفح في الصور حدث مستقبلي وليس حدثا قد مضى وهو يحدث يوم القيمة. فانعدام الأنساب بين البشر، والقيام من الأجداد التي اشارت إليه الآيات يكون يوم القيمة؛ فهو يوم الوعيد الذي ذكرته الآية في سورة ، ق.

وفائدة التعبير بالماضي عن المستقبل كما يقول ابن الأثير (٦٣٧هـ) ت: «أن الفعل الماضي إذا أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ، وأوكلد في تحقيق الفعل وإيجاده؛ لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد، وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها.<sup>(١)</sup> والنفح في الصور من الأحداث العظيمة في يوم عظيم، وأراد الله ان يدلل على انه واقع لامحالة فاستعمل الماضي للدلالة على حتمية وقوعه في المستقبل .

قد يأتي بناء الفعل للمجهول وترك الفاعل والاتيان بما ينوب عنه لأغراض متعددة كما يقول النحاة، منها الإيجاز، والعلم بالفاعل، وتعظيم الفاعل، والاستعلاء على الفاعل وتحقيره، او الجهل بالفاعل، او للخوف منه، او للخوف عليه، او قد لا يتعلق غرض بذكره<sup>(٢)</sup>، وفي موضعنا هنا العلم بالفاعل متحقق وبناء الفعل نفح للمجهول قد جاء الغرض منه تعظيمه وتعظيم الحدث الذي يصدر عنه، فقد «أسند (نفح) إلى الجمهور؛ لأن المعنى به هو حدوث النفح لا تعين النافخ، وإنما ينفح فيه بأمر تكوين من الله تعالى»<sup>(٣)</sup>، فالكل يعلم ان النفح في الصور انما لا يكون إلا من

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير: ١٤٩/٢ .

(٢) ينظر: معاني النحو: ٦١-٦٣، المبني للمجهول في القرآن الكريم، بحث في النحو والدلالة، زاهر محمد حنني:

الله تعالى أو بأمره وإذنه وبقدرته، وعدم ذكره يجعل الآيات تدفع بالمرء للتركيز على حدث ذلك اليوم وتصور هوله وحاله فيها، وهو أمر عظيم أيضاً لأنَّه إذان بالبعث والنشور ليوم الحساب الذي تشخص فيه الأ بصار، وتتضح صورة عظمة هذا الفعل من الآيات التي عبرت عن نتائجه وأثاره على وجوه الخلق وحالهم، نحو قيام الأموات من الأجداث أحياء ينظرون مذهولين، يموج بعضهم بعض بفعل الصعق الذي يكونون فيه من النفح بالصور وهول ذلك اليوم، وستر الفاعل لحدث بهذه العظمة تعظيم له فهو الذي يجعل بقدرته النفح في الصور يفعل كل ذلك الامر العظيم، وهو الله عز وجل.

لابد لكل فعل من أن يسند إلى فاعله ولما كان الفعل المبني للمجهول قد استغنى عن الفاعل فلا بد له من أن يسند إلى ما ينوب عنه وغالباً ما يكون المفعول به، وقد اختلف النحاة فيما يجوز أن يسند إليه الفعل، أ يسند إلى المفعول به باعتباره المتنوب الأصل في هذا الباب أم يجوز أن يسند إلى غيره مع وجود المفعول به؟ وهل يجوز أن يسند الفعل إلى الجار والمجرور أو لا يجوز سواء بوجود غيره في الجملة كالمفعول أو الظرف أو المصدر أو بدونه؟، ولن نخوض في ذكر آراء المختلفين في محلنا هنا؛ فالبناء للمجهول التي وردت عليها الآيات جمِيعاً في موضع البحث هنا لا يوجد فيها مفعول به ينوب عن الفاعل ولا غيره وإنما جاء بعدها جار ومجرور خلا آية واحدة جاء فيه اسم المرة (نفحَة)، فضلاً عن ذلك لما كان المعنى هو الحاكم في النص لأنَّه يمثل قصد المتكلم؛ لذا فإننا نذهب مع من قال انه ينوب عن الفاعل ما كانت له الأهمية، وأدخل في عناية المتكلم، فإذا كان المجرور هو المهم أنيب، وإذا كان المصدر هو المهم فينوب هو، وإذا كان الظرف هو المهم كان هو المتنوب عن الفاعل ، قال الرضي «والأولى أن يقال كل ما كان أدخل عناية المتكلم واهتمامه بذكره وتخصيص الفعل، به فهو أولى بالنيابة»<sup>(١)</sup>، فإذا نظرنا في الآيات التي ورد فيها (نفحَ في الصور) أو (نفحَ فيه) وجدنا الجار والمجرور هو النائب عن الفاعل ؛ لأنَّ المهم هنا ذكر الحدث مع ما ارتبط به من مجرور، أو ظرف فكان المجرور هو المهم ، وأما في قوله تعالى : ﴿إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ الحادة ١٣، «فال مصدر الدال على المرة هنا هو الأهم، لا المجرور كما في الآيات السابقة، ولذلك أنيبه عن الفاعل؛ ومما يدل على أن الاهتمام منصب على المصدر الدال على المرة قوله تعالى : ﴿وَحُمِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ الحادة ١٤ فقد جاء بالمصدر الدال على المرة أيضاً»<sup>(٢)</sup>

(١) شرح الرضي على الكافية: ٩١ / ١

(٢) معاني النحو: ٧١/٢

## بـ- صيغة الفعل المضارع

الفعل المضارع: ما دل على زمانى الحال والاستقبال، أو يسمى الحاضر والمستقبل، وقد وردت مادة نفع بصيغة الفعل المضارع في ست مواضع وهي الآتي:

١- الأولى صيغة الفعل المضارع المبني للمعلوم ووردت في آيتين: واحدة بصيغة المتكلم المفرد (أَفْعُلُ، أَنْفُخُ) في قوله تعالى: ﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طِيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٤٩ آل عمران .

والثانية بصيغة المخاطب مطلقاً (تَفْعُلُ ، تَنْفُخُ ) في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طِيرًا بِإِذْنِي وَتَبْرُئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرُصَ بِإِذْنِي﴾ ١١٠ المائدة .

لل فعل المضارع كما هو الحال لل فعل الماضي دلالاته الزمنية المختلفة بحسب التركيب الذي يأتي فيه محتفا بالقرائن السياقية التي تنقل دلالته الأصل على الحال والاستقبال إلى دلالات أخرى لغايات بلاغية ودلالية ، ومن بين ذلك ان يستعمل المضارع الذي يدل على الاستقبال للإشارات عن الماضي ويسمى حكاية الحال « والمقصود بحكاية الحال الماضية أن تعبر عن الحدث الماضي بما يدل على الحاضر استحضاراً لصورته في الذهن ، كأنه مشاهد مرئي في وقت الأخبار ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فَرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ البقرة: ٤٩ فسوم فرعون بني إسرائيل سوء العذاب وتذبح الأبناء أحداش ماضية ، غير أنه عبر عنها بالفعل الذي يدل على الحال ، وهو المضارع فقال (يسومونكم) و (يذبحون) وذلك لقصد احضار مشهد التعذيب أمام العين ، فكأنك تشاهد آل فرعون بأيديهم المدى يذبحون الأبناء<sup>(١)</sup> ، وفي آيتي آلان عمران والمائدة يرد الفعلان المضارعان أَنْفُخْ وَتَنْفُخْ اللذان يدلان بأصل وضع صيغتيهما على الحال والمستقبل ليدوا على حدث جرى في الماضي ، فمعجزة عيسى عليه السلام\_ التي آتها الله عز وجل إياه كانت في الماضي وهي ليست حدثاً مستمراً ومتجدداً يمتد للمستقبل ، ولكن الله في الآيتين لم يأت بصيغة الماضي نفخت؟ ولعل ذلك ليدفع بمتكلقي النص في كل حين إلى أن يستحضر المشهد أمامه ويتصور كيف كان عيسى عليه السلام يخلق من ذلك الطين الجامد بلا حياة طيراً بِإِذْنِ اللَّهِ فكانه يشاهد الحالة أمام عينيه ويقع تحت تأثير عظمة هذه المعجزة التي خص الله بها عيسى عليه السلام ، وهي مالم يؤتها غيره من الرسل بل أن نفع الروح في الطين وخلق الحياة فعل عظيم اختص الله به نفسه وهو آية من آياته سبحانه وتعالى ، كل هذا

(١) معاني النحو: ٣٢٨ / ٣

الاستدعاء للمشهد يتحقق بفعل استعمال المضارع المستقبل للإخبار به عن الماضي ، قال ابن الأثير موضحاً فائدة هذا الأسلوب : «اعلم أن الفعل المستقبل، إذا أتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل ، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي ؛ وذاك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ، ويستحضر تلك الصورة ، حتى كأن السامع يشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضي...وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية ، كحال تُستغرب ، أو تهم المخاطب ، أو غير ذلك»<sup>(١)</sup> .

وأما عود الضمير المجرور في قوله (فَأَنْفَخْ فِيهِ) من سورة آل عمران حيث جاء بضمير مذكر ، وقوله (فَتَنْفَخُ فِيهَا) في سورة المائدة حيث جاء فيها بضمير مؤنث ، فقوله: «(فَأَنْفَخْ فيه) ذكر الضمير هنا لأنّه يحتمل أن يعود على الطين المهيأ ، ويحتمل أن يريد فَأَنْفَخ في المذكور ، وأنّه الضمير في سورة المائدة في قوله: (فتَنْفَخ فيها) ( لأنّه يحتمل أن يعود على الهيئة أو على تأنيث لفظ الجماعة في قوله (الطير)»<sup>(٢)</sup> ، فالضمير يعود على ما تقتضيه الآية ضرورة.

٢- الثانية صيغة الفعل المضارع المبني للمجهول (يُنْفَخُ، يُفْعَلُ) من الفعل الثلاثي وقد وردت في أربع آيات :

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ ﴾ ٧٣ الأنعام﴾ وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴾ ١٠٢ طه﴾ .

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَقَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴿ ٨٧ النمل﴾ .  
وفي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴾ ١٨ الباء﴾ .

وقد تقدم الكلام في موضع الفعل الماضي عن الغرض من بناء الفعل للمجهول وعن ما ينوب عن الفاعل ، وفي تركيب الجمل في هذه الآيات جاء الفعل المبني للمجهول مضارعاً ولكن لا يختلف المتنوب عن الفاعل في أن يكون الجار والمجرور أيضاً كما في الماضي لأنّه أدخل أيضاً عنابة المتكلّم واهتمامه بذكره وتخصيص الفعل به فهو أولى بالنيابة وهو الذي يسند إليه الفعل بعد غياب الفاعل لأنّ المهم هنا ذكر الحدث مع ما ارتبط به من مجرور.

أما الدلالة الزمنية التي حققها الفعل المضارع هنا فهي الاستقبال تنصيصاً لأنّه جاء في سياق

(١) المثل السائر: ١٤٥ / ٢.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي المحاري: ٤٣٩ / ١، وينظر: ٢٥٨ / ٢.

الوعيد<sup>(١)</sup> بالفرع الأكبر وحشر المجرمين والمجيء إليه داخرين أو سياق التذكير بقدرات الله عالم الغيب والشهادة.

## ج- فعل الأمر:

دلالة فعل الأمر هو طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وصيغته افعل للمخاطب نحو اذهب<sup>(٢)</sup>، وإذا وردت صيغة افعل مطلقة خالية من القرينة فذهب جمهور الأصوليين إلى أنها تدل على الوجوب، وجب امتناع الأمر دون انتظار القرائن التي تعين كونه للوجوب أو الندب، وقالوا بدلاته على الفور لا التراخي<sup>(٣)</sup>، وقد وضع الأمر لاعتبار طلبي لا لاعتبار زمني كالماضي مثلاً ويتضح ذلك من الكلمة (يطلب) التي تضمنتها بعض تعريفات فعل الأمر بأنه «صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب»<sup>(٤)</sup>، ذلك لأنّ إذا سمعنا أحدها قال لغيره : افعل كذا، فإنه يسبق إلى الإفهام منه طلب الفعل واقتضاؤه وإذا كان الطلب هو السابق إلى الفهم عند عدم القرائن مطلقاً دل ذلك على كون الصيغة (افعل) وأشباهها حقيقة فيه، أي أنها في أصل الوضع اللغوي للطلب<sup>(٥)</sup>، وأما دلالته الزمنية فيذهب كثير من النحوين إلى أنه يدل على المستقبل سواء كان المستقبل قريباً أم بعيداً لأنّه يأتي لما يكون ولم يقع أو دوام حصوله، نحو قوله، نحو قولك أمراً اكتب واقرأ أو اذهب والعب، فما يكون ولم يقع يدل زمنياً على المستقبل، قال المبرد: « وإنما الأمر من الفعل المستقبل، لأنك تأمره بما لم يقع»<sup>(٦)</sup>، هذا إذا لم ترد القرينة في التركيب الذي يرد فيه الفعل تغيير الدلالة المستقبلية إلى دلالة أخرى.

ورد فعل الأمر من مادة نفع مرة واحدة فقط بصيغة (افعُلُوا، انفُخُوا) مسندًا إلى واو الجماعة ومبنيا على حذف النون، وواو الجماعة ضمير متصل في محل رفع فاعل للفعل، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُونِي أُفْرِغُ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ٩٦ الكهف ، وجاء فعل الأمر (انفخوا) في تركيب يتضمن (إذا) التي هي ظرف للمستقبل متضمنة معنى الشرط ، وتعرب جملة (انفخوا) مقول القول في محل نصب

(١) ينظر: معانٍ النحو : ٣٢٥، ٣٢٧.

(٢) ينظر: شرح المفصل : ٥٨/٧

(٣) ينظر: البلاغة فنونها وأفاناتها، علم المعاني، عباس، فضل حسن: ١٥٠.

(٤) شرح الكافية: ٢٦٧/٢، وينظر: الدلالة الایحائية في الصيغة الافرادية، صفية مطهري: ١٧٧.

(٥) ينظر: دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان: ٧٢، ومحاضرات في أصول الفقه، محمد إسحاق: ١٣٢-١٢١ / ٢.

٦) المقتضب ، المبرد: ٨٣/١

مفعول به للفعل الماضي (قال) وفاعله مستتر، والجملة من الفعل والفاعل جواب شرط غير جازم (إذا)، وهذا الفعل (قال) قد أخرج (إذا) عن دلالتها على الاستقبال واستعملها للماضي لأنه فعل ماض يحكي ما حدث في الماضي فيستحيل أن يدل على المستقبل.

دلالة فعل الأمر انفخوا في الآية الكريمة أفادت في وقتها المحكى طلب القيام بالنفع على وجه الالزام كونه ضروري لإكمال عمل السد، وكذلك أفاد الاستمرار أو التكرار في إتيان الفعل لأكثر من مرة ولكنه استمرار إلى أجل معين، فالفعل يتكرر اتيانه لوجود سبب وغاية لذلك، ومادام السبب قائماً يستمر فعل الأمر؛ حيث أن العملية التي يتطلبها تحويل زير الحديد إلى نار تقتضي تكرار فعل النفع أو استمرار إتيان المخاطب له مرات عدة ولكن الإتيان يتوقف بمجرد أن يتتحول الزبر إلى نار لينتقل إلى فعل آخر وحدث مختلف بدليل قرينة (حتى) التي تفيد انتهاء الغاية وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ وإذ تحول الزبر إلى نار انتهت الغاية وزال السبب الداعي لاستمرار قيام المخاطب بفعل النفع وتكراره، وهذا ما يبين لنا أن دلالة الاستمرار أو التكرار في صيغة الأمر راجع إلى قرائن السياق لا إلى صيغة الأمر ذاتها.

### ثانياً\_ الصيغة الاسمية

لم ترد مادة نفع بالصيغة الاسمية في القرآن الكريم إلا مرة واحدة فقط هي صيغة مصدر المرة أو ما يسمى أحياناً باسم المرة، على وزن (فعّلة، نفّحة) في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴾ ١٣ الحاقة وهو مصوغ من الفعل الثلاثي المجرد (نفع) على وزن مصدره (نفع) بالإضافة تاء مربوطة في آخره ، فمصدر المرة اسم يصاغ من الثلاثي على (فعّلة)، وغيره بزيادة تاء على مصدره نحو قَامَ قَوْمَةً وَأَعْطَى إِعْطَاءَ ، وهو يستعمل للدلالة على وقوع الحدثمرة واحدة (١)، وقد جاءت (نفع) في تركيب شرطي غير جازم (إذا) الفاء حرف استئناف (إذا) ظرفية شرطية غير جازمة (نفع) فعل ماض مبني للمجهول (في الصُّورِ) متعلقان بالفعل و(نفع) نائب فاعل و(واحدة) صفة نفعه والجملة في محل جر بالإضافة (إذا) .

و(نفع): يحمل دلالة المصدرية وكذلك دلالة المرة وهو بالإضافة لدلالة صيغته بذاتها على المرة الواحدة اقتربن بوصف أيضاً يؤكد هذه الدلالة هو (نفعه واحدة)، فـ(نفع) «في الأصل مفعول مطلق، أو تقع على النيابة عن الفاعل، ووصف نفعه بـ(واحدة) تأكيداً لـالإفادة الوحيدة من صيغة الفعلة تنصيصاً على الوحدة المفادة من التاء والتنصيص على هذا للتتبّيه على التعجب من

(١) ينظر: المستقصى في علم التصريف، د. عبد اللطيف محمد ٤١٧/٤١٨، والصرف الوفي، د. هادي نهر: ٧٦

تأثر جميع الأجساد البشرية بنفخة واحدة دون تكرير تعجباً عن عظيم قدرة الله ونفوذ أمره ، وهي مع أنها واحدة- تتأثر بها السموات والأرض والجبال ، وهذا دليل على وحدانية الله- تعالى - وقدرته ؛ لأن سياق الكلام من مبدأ السورة الذي صدرت به تهويل يوم القيمة مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿الْحَقَّةُ مَا  
الْحَقَّةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَقَّةُ الْحَقَّةُ﴾ ١- ٣ الحقيقة فتعداد أهواله مقصود، فحصل من ذكر نفحة واحدة تأكيد معنى النفح وتأكيد معنى الوحدة وليس المراد بوصفها بـ(واحدة) أنها غير مُتبعة بثنائية فقد جاء في آيات أخرى أنهما نفختان ، بل المراد أنها غير تحتاج حصول المراد منها إلى تكررها كنایة عن سرعة وقوع الواقعه ، أي يوم الواقعه<sup>١</sup>

(١) ينظر التحرير والتنوير: ٣٠/١٢٤-١٢٥.

### المبحث الثالث

## المستوى الدلالي لمادة النفح في سياقات الاستعمال القرآني

يرى امبسون إن معاني الكلمات (نتائج لا يتوصل إليها إلا من خلال تفاعل الإمكانيات التafsirية لكامل الكلام أي لمجموع مكونات النص السياقية)<sup>(١)</sup>؛ ذلك لأنه لا يمكن لنا أن ندرك معنى الكلام من خلال المعاني المعجمية للكلمات فهي ليست كل شيء، فشمة عناصر لغوية وغير لغوية تسهم بشكل كبير في تحديد المعنى ويمكن أن نعدها جزءاً أو أجزاءً من الكلام الذي لا يمكن الوصول إلى معناه الدقيق بدونها<sup>(٢)</sup> من هنا ندرك أن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوياً، لأن معنى الكلمة يتعدل بـعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها اللفظة<sup>(٣)</sup>

لقد ورد استعمال النفح في سياقات الآيات القرآنية كلها على أربعة أحوال، وبدللات عدّة، لاتتفق عند حدود دلالة الصيغة التي جاءت عليها، فبعضها لا يختلف عن دلالتها اللغوية وبعضها الآخر يرتبط بدلالة الخلق والروح، وبأحوال يوم القيمة وأهوالها وبالبعث والحساب، تحدّدها السياقات التي وردت فيها، وهي:

**أولاً\_ دلالة النفح الماديّ الصرف<sup>(٤)</sup>**، وهي الأقرب للدلالة اللغوية للنفح وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ أَتُوْنِي أَفْرِغُ عَلَيْهِ قِطْرًا ٩٦﴾ الكهف<sup>﴿</sup> والنفح إما يكون بالفم إلى أن يصير الحديد ناراً مشتعلة، أو يكون بوسيلة مادّية أخرى للنفح كالزق، وهو نفح مادي يتطلب اطلاق الهواء لا غيره وذلك بقرينتين سياقيتين الأولى حالية مستنيرة من طبيعة الموقف والعمل «من كون العمل في صنع الحديد وصهره ، والتقدير: انفخوا في الكيران، أي الكيران المصقوفة على طول ما بين الصدفين من زبر الحديد»<sup>(٥)</sup>، والثانية لغوية تكميل صورة الأولى، هي قوله (حتى إذا جعله ناراً) ما يعني نفخاً بالهواء مستمراً متكرراً وعلى نحو

(١) علم الدلالة العربي، فايز الداية: ٢٢٣.

(٢) ينظر: علم اللغة، محمود السعران: ٢٨٨.

(٣) ينظر علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٦٩.

(٤) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٨٨/١٢.

(٥) التحرير والتنوير: ٣٧/١٦.

الكثرة والجماعة أشار اليه ضمیر الجماعة في الفعل انفخوا وصولا الى تحوله الى نار.

**ثانياً - دلالة النفح المادي ولكن فيه جهة من النفح الروحانية<sup>(١)</sup>**, في قوله تعالى:

﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ فَانفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَإِذْنِ اللَّهِ ﴾٤٩﴾ آل عمران، وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهْيَةً الطَّيْرِ يَإِذْنِي فَتَكُونُ فِيهَا فَتَنفُخْ فِيهَا طَيْرًا يَإِذْنِي ﴾١١٠﴾ المائدة فهذا نفح مادي بالفم كما يظهر من الآية ولكن فيه جهة من النفح الروحانية وتوجه إلهي ، فكون « عيسى عليه السلام خالقاً بيده ونافخاً بفيه إنما هو ليبين تلبسه بالمعجزة ، وأنها جاءت من قبله ، وأما الإيجاد من العدم وخلق الحياة في ذلك الطين فمن الله تعالى وحده لا شريك له »<sup>(٢)</sup> ؛ وذلك بدليل قريتين وردتا في سياق النصين ، الأولى استعمل في النصين فعل الكينونة (فيكون) و(فتكون) ولم يقل فتصبح أو تصير أو تتحول مثلا لأنها لم تتحول أو تصير من حال إلى حال بمجرد فعل النفح من عيسى عليه السلام بل لأنه أراد أن حقيقة الإيجاد من العدم وخلق الحياة إنما لله وحده وما يناسب هذا المعنى هو التعبير بفعل الكينونة لأن الله عز وجل وحده الذي اذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون ، وأما القرينة الثانية فهي قوله في الآيتين (بإذن الله) و(بإذني) التي تؤكد ان خلق الطير على يد عيسى إنما كان بعلم من الله تعالى وبتمكن منه له.

**ثالثاً - دلالة النفح الروحاني الإلهي الذي يمثل الخلق ، كما في قوله تعالى:**

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾٢٩﴾ الحجر ، وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾٩١﴾ الأنبياء ، قوله تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخْ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾٩﴾ السجدة ، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾٧٢﴾ ص ٧٢ ، قوله تعالى: ﴿وَمَرِيمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنْتَ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾١٢﴾ التحرير ، دلالة النفح هنا تعبر عن إفاضة الروح في جسد آدم ، أي تدل على معنى الخلق الإلهي ، وهو ما يتفق عليه المفسرون غير انهم تباينوا بطريق تحقق هذه الدلالة فصاحب الميزان يرى انها دلالة كنائية ، فالنفح « إدخال الهواء في داخل الأجسام بضم أو غيره ويكتن فيه عن القاء اثر أو أمر غير محسوس في شيء يعني به في الآية ايجاده تعالى الروح الانساني بما له من الرابطة والتعلق بالبدن وليس بداخل فيه دخول الهواء في الجسم المنفوخ»<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم . ١٨٨/١٢:

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤/٣٠.

(٣) (الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي : ١٥٣/١٢)

ويرى الطاهر بن عاشور المعنى نفسه ولكن حدث من طريق الاستعارة، فالنفح» حَقِيقَتُهُ إِخْرَاجُ الْهَوَاءِ مَضْغُوطًا بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ مَضْمُومَتَيْنِ كَالصَّفِيرِ، اسْتُعِيرَ هُنَا لِوَضْعِ قُوَّةِ لَطِيفَةِ السَّرَّائِينِ قَوِيَّةِ التَّأْثِيرِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَيْسَ ثَمَّةَ نَفْخٍ وَلَا مَنْفُوخٍ»<sup>(١)</sup>

مهما يكن طريق تحقق هذه الدلالة فإنـه بهذا الاستعمال تحولت الدلالة الحسية، إلى دلالة معنوية أو وظفت لتقرـيب حقيقة معنوية عظيمة للعبد (متلقـي النـص) عن خلقـ الانسان وايجـادـ الحياة فيهـ، فـفي معنىـ النـفحـ تحـريكـ الـهـواءـ وـنـحوـهـ ماـ يـحدـثـ أـثـراـ فيـ المـوجـودـاتـ الـحسـيـةـ فـقـرـبـ بهـذـهـ الصـورـةـ اـدـراكـ عـمـلـيـةـ بـثـ الرـوـحـ فـيـ الـبـدنـ الـبـشـريـ وـارـسـالـهـاـ فـيـهـ ، وـأـمـاـ الـهـواءـ الـذـيـ هوـ منـ لـواـزـمـ اـسـتـكـمالـ عـمـلـيـةـ النـفحـ ، فـهـوـ لـطـيفـ خـفـيفـ لـاـ يـرـىـ وـكـذـلـكـ الرـوـحـ هـيـ جـرـيـانـ أـمـرـ لـطـيفـ ، وـلـكـنـ الـهـواءـ يـمـكـنـ أـنـ يـحـسـ ، فـاستـشـمـرـ هـذـاـ الجـانـبـ الـحـسـيـ لـلـهـوـاءـ لـتـقـرـيبـ اـدـراكـ لـطـافـةـ الرـوـحـ الـمـبـثـوـثـةـ فـيـ الـبـدنـ .

هذهـ النـفحـ إـلهـيـةـ وـهـيـ سـرـ تمـيـزـ الـانـسـانـ عـنـ سـائـرـ مـخـلـوقـاتـ اللهـ فـيـ الـأـرـضـ وـهـيـ الـتـيـ أـهـلـتـهـ لـإـسـجـادـ الـمـلـائـكـةـ لـهـ وـلـاـ صـطـفـاءـ بـعـضـهـمـ لـلـوـحـيـ وـالـنـبـوـةـ وـلـوـلاـ تـلـكـ النـفحـةـ مـاـ كـانـ الـبـشـرـ اـهـلـاـ لـشـيءـ مـنـ ذـلـكـ كـلـهـ<sup>(٢)</sup>.

رابعا\_ دلالة النـفحـ فـيـ عـالـمـ الـآـخـرـةـ<sup>(٣)</sup> ، وـالـلـهـ أـعـلـمـ كـمـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ ٧٣ الأنعام .  
 ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعَنَاهُمْ جَمِيعًا﴾ ٩٩ الكهف .  
 ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَخْسُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ١٠٢ طه .  
 ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٠١ المؤمنون .  
 ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَقَرَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ ٨٧ النـملـ .

﴿وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ٥١ يس .

﴿وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ٦٨ الزـمرـ .

(١) التـحرـيرـ وـالـتـنـوـيرـ : ٤٤/١٤ .

(٢) يـنـظـرـ: المـعـجمـ الـاشـتـقاـقيـ الـمـؤـصـلـ لـلـأـفـاظـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ : ٢٢٣٤ .

(٣) التـحـقـيقـ فـيـ كـلـمـاتـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ : ١٢/١٨٩ .

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ ﴿٢٠﴾ ق ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ ﴿١٣﴾ الحاقة﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجًا﴾ ﴿١٨﴾ النبأ﴾.

النفح في الصور قضية قطعية الواقع في الآخرة بأدلة القرآن الكريم والسنة الشريفة ولا يمكن لمن يؤمن بالله واليوم الآخر والبعث والحساب أن ينكر النفح في الصور، ولكن السؤال الذي شغل المفسرين هو ما حقيقة دلالة هذا النفح والصور؟ لأنه ”في الواقع أن النفح في الصور بتفاصيله ما زال مجهولاً لنا، وهو من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، وقد عبر عنها القرآن بأمر محسوس من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، وعلى كل حال فالنفح له مرحلتان، المرحلة الأولى : مرحلة الإمامة، وهي قبيل يوم القيمة يسفر عن هذا النفح الصعق والفرز اللذان كُتباً بهما عن الموت، لمرحلة الثانية : مرحلة الإحياء وإحضار الناس إلى المحشر.

وقد ذكرت النفختان في الآية ٦٨ من سورة الزمر<sup>(١)</sup>؛ لأنهما من المسائل الغيبية التي يجب الإيمان بها، وإن لم نقف على حقيقتها وواقعها، فإن الدلالة المستنيرة من هذه الآيات هي دلالة تأويلية غير قطعية بل ترجيحية تحاول أن تقدم تصوراً قريباً من حقيقة النفح والصور باعتماد قرائن لغوية وحالية تستمدانها من النصوص المختلفة التي ورد فيها (النفح في الصور) وبينت ما يلحق بالخلق من آثار بسبب هذا النفح، وهذا الإجراء يعد على وفق رأي فيرت وأصحاب النظرية السياقية رصداً لمجموع السياقات التي ترد فيها الكلمة لمعرفة دلالتها «دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواضف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوی ومعنى الكلمة – على هذا – يعدل تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها»<sup>(٢)</sup>، وتمثلت هنا بسياق الآيات القرآنية المختلفة التي وردت فيها عبارة (النفح في الصور)، بالإضافة إلى قرائن من خارج النص القرآني تتمثل بنصوص الأحاديث والروايات من السنة النبوية الشريفة التي تبين طبيعة الصور وأنه قرن كبير وان النافخ هو اسرافيل وما المدة بين النفحات الأولى والثانية لأن معرفة الصور قد توضح لنا طبيعة النفح،» فمعنى الكلمة يرتبط بمعنى متساقتها<sup>(٣)</sup>؛ لذا فقد وظفها المفسرون لإيضاح المقصود بالنفح في الصور، لأن اللفاظ تنكشف خصائصها الدلالية على وفق مبدأ الرصف الذي يقول

(١) ينظر مفاهيم القرآن ، جعفر السبحاني : ٢٠٧ ، ٢٠٩ / ٨

(٢) علم الدلالة : ٦٩

(٣) معنى الكلمة بين الاتجاه الوظيفي والاتجاه التجريدي ، ٦٥

به السياقين والذي ينظم ارتباطها فيما بينها في التركيب<sup>(١)</sup>، ولكن بالرغم من كل هذه الأدلة والمحاولات تبقى الدلالة تأويلية وليس دلالة قطعية لعدم امكان تحديد حقيقة معنى النفح في الصور كونه من الغيبات التي لا يمكن الوقوف عليها فهي من أحداث يوم القيمة التي يفوق هولها التصورات العقلية، بمعنى لا يمكن تحديد ابعاد سياق الموقف لها وبالتالي عدم تحديد المعنى بشكل قطعي، وللعلامة الطباطبائي كلام في هذا الموضوع يوجز المسألة إذ يقول:

ولا يبعد أن يكون المراد بالنفح في الصور يومئذ مطلق النفح أعم مما يميت أو يحيي ، فإنّ النفح كيفما كان من مختصات الساعة ، ويكون ما ذكر من فزع بعضهم وأمن بعضهم من الفزع وسير الجبال من خواص النفح الأولى ، وما ذكر من إتيانهم داخرين من خواص النفح الثانية .<sup>(٢)</sup> وربما عدم قطعية هذه الدلالة او إمكانية وضع تصور دقيق عنها جزء من غايات نصوص الآيات القرآنية ومقصودها الذي سيقت له ، لأنّه يجعل تأثيرات أحوال يوم القيمة وأحواله دائمة ومستمرة بواقعها على نفسية العبد فيزداد المؤمن بها خشوعا وتكون حجة على ناكرها وتصغيرا للمتكبر عليها أمام هذا الحدث ، وهذا هو الأكثر انسجاما مع سياقات الترهيب والتعظيم التي وردت فيها عبارة النفح في الصور في الآيات القرآنية.

(١) ينظر: علم الدلالة: ٧٤:

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٤٠٣/١٥ .

## الخاتمة

- انتهى البحث في مادة نفح التي وردت في آيات القرآن الكريم إلى عدد من النتائج، هي :
- ١- تأتي أهمية مادة نفح في القرآن الكريم من جانبيين : موضوعي ودلالي ; حيث ان النفح ارتبط بأول الحياة البشرية كما ارتبط بالتعبير عن آخرتها أيضا؛ فالنفح كان الأساس في عملية خلق الإنسان في النشأة الأولى بنفح الروح وإيجاد الحياة ، وهو الإيدان أيضاً بآخرتها بالنفح في الصور والبعث بيوم الحساب .
  - ٢- جاءت الصيغ الصرفية من هذه المادة في جميعها بالصيغة الفعلية سوى مرة واحدة بالصيغة الاسمية هي اسم المرة(نفحة) ، واغلب الصيغ الصرفية التي وردت للأفعال كانت صيغة الفعل المبني للمجهول والأقل منها المبني للمعلوم ، أما صيغة الأمر فجاءت مرة واحدة .
  - ٣- آثر الخطاب القرآني عند استعمال صيغة الفعل من (نفح) عدم ذكر المسند إليه (الفاعل) بالاسم الظاهر وإنما جاء في جميعها إما في صورة الضمير المتصل بالفعل ، أو قد يحذف الفاعل أصلاً وبيني الفعل للمجهول وهو ما يجعل التركيز يكون على الحدث ، وليس بالضرورة أن يكون النائب عن الفاعل المفعول به بل ينوب ما كانت له الأهمية في الكلام .
  - ٤- لم تحتفظ الأفعال ضمن التركيب بدلاله صيغتها الزمنية بل اختلفت أزمنتها بفعل قرائن التركيب النحوية الذي جاء أغلبه شرطياً أو ما يشبه الشرط ، غالباً ما كان التغيير بدلالة الزمن لتحقيق غايات دلالية .
  - ٥- بعد رصد دلالة ألفاظ النفح الواردة في السياقات القرآنية المتعددة ، تطبيقاً لما قاله الدلاليون من أن معنى الكلمة تحدده مجموع السياقات التي وردت فيها ، فإن المعنى الأساس والоснов المشترك للنفح هو اندفاع الهواء أو شيء لطيف نظيره من مصدره في جوف مخلخل بالفم أو بغيره ، ويمكن بهذا تفسير معاني النفح المختلفة التي وردت ، وارتباطها به ، فالنفح بمعنى الخلق هو أيضاً إجراء أمر لطيف هو الروح في الطين الذي منه الكائن الحي ، والنفح في الصور هو أيضاً اندفاع أمر لطيف في الصور ولكن لا تعرف طبيعة الشيء المنفوح ولا الصور على نحو الدقة كونه من الغيبات ، التي حاول القرآن تقرير تصوّرها للعبد مختاراً (النفح) كونه فعل حسي والله أعلم ، وقد اكتسب النفح هذه الدلالات المتعددة بالاستعمال القرآني ، حيث تنوّع بفعل سياق الآيات القرآنية التي ورد فيها .

## المراجع والمصادر

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط٣٧٠-١٩٥١م.
٢. أثر الموضع النحوي على الوظيفة الدلالية (دراسة وصفية تحليلية لنصوص من دلائل الاعجاز)، نيكسون جونسون بونا، مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية، المجلد ٥) العدد (٣) مارس ٢٠٢٤، الخرطوم - السودان.
٣. أساس البلاغة ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تقديم: محمود فهمي حجازي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة سلسلة الذخائر ٩٥ ، مايو ٢٠٠٣م.
٤. الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصرية، بيروت ٢٠٠٢م.
٥. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
٦. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتق للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٧. البلاغة فنونها وأفاناتها، علم المعاني، عباس، فضل حسن، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٩٨٩م.
٨. البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، طبعة خاصة تصدرها عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة.
٩. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م.
١٠. التأويلية العربية نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، محمد بازي منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط١-١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١١. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد): محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية

لنشر - تونس ، ١٩٨٤ م.

١٢. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المحقق المفسر العالمة المصطفوي حسن، طهران، مطبعة اعتماد، مركز نشر آثار العالمة المصطفوي، ط١، هـ١٣٨٥.
٣١. التحليل النحوی أصوله وأدله، د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية ، ط١ ، ٢٠٠٢ م.
٤١. التحليل النحوی عند ابن هشام، وائل عبد الأمير، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل - كلية التربية، هـ١٤٢٨ م٢٠٠٧.
٥١. التحول الداخلي في الصيغة الصرفية، مصطفى النحاس، مجلة اللسان العربي، مج١٨، ج١ ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠ م.
٦١. التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط ، ط١٤٢٦ ، هـ١٤٢٦ م٢٠٠٥.
١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١ هـ)، دار ابن حزم.
٨١. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) ، تحر: محمد علي النجاش / مطبعة دار الكتب المصرية.
١٩. دراسة المعنى عند الأصوليين، طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية- مصر، ١٤٠٣-١٩٨٣ م.
٢٠. الدلالة الایحائية في الصيغة الافرادية، صفية مطهرى، اتحاد الأدباء والكتاب العرب، دمشق ، م٢٠٠٣ م.
١٢. الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش إسماعيل ، رسالة ماجستير جامعة البصرة، كلية الآداب ، ١٩٩٢.
٢٢. شرح المفصل للزمخشري موفق الدين ابن يعيش (ت٦٤٣ هـ) طبع ونشرة ادارة الطباعة المنيرية.
٣٢. شرح الكافية في النحو، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي ، الناشر: انتشارات مرتضوى ، طهران ، ١٩٨٩ م.
٤٢. شرح شافية ابن الحاجب ، محمد بن الحسن رضي الدين الاسترابادي ، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفاف ومحمد محبي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

٥٢. الصرف الوافي دراسات وصفية تطبيقية، د. هادي نهر: ٧٦، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٠.
٢٦. علم الدلالة: ٦٩، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة - مصر، ط٥، ١٩٨٨ م.
٢٧. علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: دراسة تاريخية تأصيلية نقدية، فايز الديبة، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٦ م.
٢٨. علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢ م.
٩٢. القرينة في اللغة العربية، كوليزار كامل عزيز، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية، ١٤٢٣-٢٠٠٢ م.
٣٠. كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، القاهرة.
١٣. كتاب المفتاح في الصرف، عبد القاهر الجرجاني، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧، ١٩٨٧ م.
٢٣. الكتاب لسيبوه، أبو بشر عمرو بن عثمان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٩٧٧.
٣٣. الكلمة القرآنية أعماقها، أبعادها، أدوارها ارتباطاتها، أشكالها، إعجازها، خالد بكرو، مجلة الدراسات الإسلامية - العدد العاشر جامعة عمار ثليجي، الجزائر- ٢٠١٨ م - الترقيم الدولي ISSN ٠٨٩٤-٢٢٥٣-
٣٤. لسان العرب، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (ت ٧١١ هـ)، دار احياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.
٥٣. المباحث اللغوية في العراق، الدكتور مصطفى جواد، مطبعة العاني، بغداد، ط٢، ١٣٨٥-١٩٦٥ م.
٦٣. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد ضياء الدين ابن الأثير، (ت ٦٣٧ هـ) تحقيق: أحمد الحوفي - بدوي طباعة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة.
٣٧. محاضرات في اصول الفقه: محمد اسحاق الفياض، طبع سمباسا، افريقيا الشرقية.

٣٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٤٥٤ هـ)، تحق: عبد السلام عبد الشافى محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
٣٩. المستقصى في علم التصريف، د. عبد اللطيف محمد الخطيب، دار العروبة، الكويت، ط ١، ٢٠٠٣ م.
٤٠. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، المجلد ٢، شركة العاتق للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٤١. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، المجلد ٣، ٤، دار الفكر، الأردن، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٢. المعجم الاستقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مؤصل بيان العلاقات بين الفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة ط ١، ٢٠١٠ م.
٤٣. معنى الكلمة بين الاتجاه الوظيفي والاتجاه التجريدي: يحيى أحمد، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، المجلد ٤، العدد ١٦، ١٩٨٤ م.
٤٤. مغني الليب عن كتاب الأعaries ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تحق: محمد محي الدين عبد الحميد
٤٥. مفاهيم القرآن الشيخ جعفر السبحاني، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط ١، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.
٤٦. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٤٧. المقتضب، أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحق: محمد عبد الخالق عظيمة - عالم الكتب - بيروت ، لبنان
٤٨. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٨٠ م.
٤٩. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط ١، ١٩٩٧ م.
٥٠. المبني للمجهول في القرآن الكريم « بحث في النحو والدلالة »، زاهر محمد حنني، مجلة جامعة الخليل للبحوث ، مج ٣، العدد ١، ٢٠٠٧ م.

